فالمفروض علينا الفرار من الموت، فراراً «من قضاء الله إلى قدر الله عَزَّوَجَلَّ »[١]، فإنه قاض بالموت إذا تعرضنا لأسبابه المحتومة، ولكنه مقدر للموت المحتوم أضيق من قضائه فنستسلم لقدره كما أمر، ونفرّ من قضائه كما أمر، اللّهم إلّا في معترضات الموت المأمور بها كجبهات الحرب، بل وفيها أيضاً ليس لنا الإقدام على الموت، بل ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾[٢] ثم إذا حضر الموت على حذركم فلكم الحسنى إذ كان بأمر الله.

ذلك، فإذا توافق القضاء والقدر للموت فلا فرار كما قُدِّر للإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قبله حيث قدم إلى مضجعه إلى المحراب، وقُدِّر للإمام الحسن المجتبي وللإمام الرضا وغيرهما من أئمة الدين قدر الموت بقضاء السم.

فإنما جهلُنا بتوافق القضاء والقدر أو علمنا باختلافهما يفرض علينا

(١) المصدر عن التوحيد بإسناده إلى الأصبغ بن نباتة قال: إن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عدل من عند حائط مايل إلى حائط آخر فقيل: يا أمير المؤمنين تفر من قضاء الله؟ قال: أفر من قضاء الله إلى قدر الله عَزَّوَجَلَّ، وفيه بإسناده إلى عمرو بن جميع عن جعفر بن محمد قال حدثني أبي عن أبيه عن جدِّه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قال: دخل الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ على معاوية فقال له: ما حمل أباك على أن قتل أهل البصرة ثم دار عشياً في طرفهم في ثوبين؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: حمله على ذلك علمه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال: صدقت.
وفيه وقيل لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أراد قتال الخوارج: لو احترزت يا أمير المؤمنين فقال:

أي يومين من الموت أخر ... يوم ما قدر أو يوم قدر
يوم لم يقدر لا أخشى الردى ... و إذا قدر لم يغن الحذر

وفي كتاب المناقب لابن شهر آشوب: وكان مكتوباً على درع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ:
وكان مكتوباً على علم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الحرب إن باشرتها ... فلا يكن منك الفشل
واصبر على أهوالها ... لا موت إلّا بالأجل

وفيه عن الحسن بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ كلام طويل وفيه: إن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ في المحيى والممات والمبعث عاش بقدر ومات بأجل.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧١.

الفرار من القضاء إلى القدر، فأما إذا علمنا التوافق بينهما، أم أمرنا بالتعرض لقضائه كمسرح القتال وما أشبه فلا.

فقد «قدر لكم أعماراً سترها عنكم»[١] «فما ينجو من الموت من خافه، ولا يُعطى البقاء من أحبه» (٣٨) حيث «خلق الآجال فأطالها وقصَّرها، وقدمها وأخرها» (٨٩) «وإن الفار لغير مزيد في عُمرُه، ولا محجوز بينه وبين يومه» (١٢٢).

فـ «إنما أنتم في هذه الدنيا غرض تنتصل فيه المنايا، مع كلِّ جريمة شَرَق، وفي كلِّ أكلة غَصَصٌ، لا تنالون منها نعمة إلّا بفراق أخرى، ولا يُعمَّر معمَّر منكم يوماً من عُمرُه إلّا بهدم آخر من أجله، ولا تجدد له زيادة في أكلِه إلَّا بنفاد ما قبلها من رزقه» (١٤٣) و«إن مع كلِّ إنسان ملكين يحفظانه، فإذا جاء القدر خلّيا بينه وبينه، وإن الأجل جُنَّة حصينة» (٢٠١ ح).

وحصيلة البحث عن آية الأجل، أن الأجل هنا بين محتوم ومعلق، وهما بين أجل الموت عن أصل الحياة، أو انتقال إلى شرعة أخرى، أم انتقال كيان حيوي آخر روحياً أم مادياً من أمة إلى آخرين.

ثم «لا يستأخرون ولا يستقدمون» هما بين مجيء وقت الأجل إعلاماً، أم واقعاً في وقته، أم على أشرافه.

فـ ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ في آجال الأمم الرسالية، هما قضية أنهم مخبرون بأن أجلهم سوف ينقضي بما قضاه الله، فليس لهم فيه تطلبٌ لتأخر إلى أمد، أم تقدم على أمد، لأنه مشاقة الله في قضائه المحتوم حسب الحكمة العالية.

فلا يعني مجيء الأجل هنا واقعه إلّا في ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ حيث لا مجال - إذاً - لـ ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ فإن استقدام الزمن الماضي مستحيل.

(١) نهج البلاغة الخطبة ٨٢ / ٢ / ١٤١.

وهكذا نمشي ونمضي بنور الله على ضوء القضية الدلالية لآلية فاصحة واضحة، بين محتملات الأجل والأمة ولا يستأخرون ولا يستقدمون، ما ناسبت الواقع غير المستحيل، والدلالة الصالحة.

ذلك، والأجل المقدر عند الله مجهول عن كلِّ الخليقة حتى المعصومين وكما قال علي أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الناس كلّ امرئ لاق ما يفرُّ منه في فراره، والأجل مساق النفس، والهرب منه موافاته، كم اطّردت الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله إلّا إخفاءه هيهات! علم مخزون...»[1].

و«إن مع كلِّ إنسان ملَكين يحفظانه فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه وإن الأجل جنة حصينة»[2].

أجل، وكما أن أجل القيامة من العلم المخزون المكتوم قضيةَ الابتلاء الشامل، فكذلك أجل الموت فإنه لا يعلمه لوقته ومكانه الخاص إلّا الله، ولم يكن ليعلم الإمام أمير المؤمنين إلّا كيف يقتل، وأما متى وأين فقد كان مجهولاً لديه بنفس القضية الحكيمة الشاملة، أم كان يعلم بتوافق أجلي المقدر والمحتوم فأقدم على ما أقدم.

ذلك، وعلى أن الآجال محددة بإذن الله وعلمه، ولكنه من ناحية أخرى لا يمنع من التحسر على بلوغ آجال الأجلاء الذين هم هداة الناس دون بديل عنهم.

وهنا من كلام لعلي أمير المؤمنين عليه السلام وهو يلي غسل رسول الله وتجهيزه: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأبناء وأخبار السماء، خُصصت حتى صرت مسْلياً عمن سواك، وعممت حتى صار الناس فيك سواء، ولولا أنك أمرت بالصبر

(١) (الخطبة ١٤٩).
(٢) (الحكمة ١٩٠).

ونهيت عن الجزع لأنفذن عليك ماء الشُّؤن، ولكان الداء مماطلاً، والكَمَد محالفِاً وقلاً لك، ولكنه ما لا يملك رده، ولا يُستطاع دفعه، بأبي أنت وأمي، اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك»[(١)].

ذلك، وآجال الرسل هي مقدرة مقررة لا تَستقدم ولا تُستأخر، قضية الحكمة العالية الربانية في الحفاظ على وحيه الرسالي لإتمامه في أيامه، ولا سيما خاتم المرسلين محمد ﷺ فقد «كتب آجالكم، وأنزل عليكم الكتاب تبياناً لكلِّ شيء، وعمر فيكم نبيه أزماناً حتى أكمل له ولكم فيما أنزل من كتابه دينه الذي رضي لنفسه، وأنهى إليكم على لسانه محابَّه من الأعمال ومكارهه، ونواهيه وأوامره، فألقى إليكم المعذرة، واتخذ عليكم الحجة، وقدم إليكم بالوعيد، وأنذركم بين يدي عذاب شديد...»[(٢)].

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾:

ذلك، حيث ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾[(٣)] - ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[(٤)] ففي هاتين «هدى» حيث تشملان آدم وهو أول الرسل، وهنا ﴿رُسُلٞ﴾ إذ ما أتى آدم نفسه رسول، نصوص ثلاثة تتحدث عن مسرح الرسالات الربانية على مدار

(١) (الكلام ٢٢٦).
(٢) (الخطبة ٨٥)
(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٣٨، ٣٩.
(٤) سورة طه، الآيتان: ١٢٣، ١٢٤.

الزمن الرسالي للمكلفين، فالتمسك بآية «بني آدم» زعماً أنهم - فقط - الأمة الإسلامية، فـ ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ بشارة لرسالات بعد الرسالة الإسلامية؟ إنه تمسك هباء وخواء - بعيد عن بني آدم - اللّهم إلّا أن تخرج بقية الأمم الرسالية عن بني آدم ومنهم هؤلاء المدعون استمرارية الرسالة لما بعد الرسالة الإسلامية.

كلّا! فإنه خطاب يعم كلَّ بني آدم على مدار الزمن الرسالي دونما استثناء، منذ آدم حتى خاتم النبيين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

فـ ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ...﴾ تأكيد لإتيان الرسل بصورة الشرطية، تدليلاً على أن ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ بشارة ونذارة عامة تحلق على كلِّ بني آدم المكلفين دونما استثناء.

وهنا ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ كما ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي...﴾[1].

حيث تعني ﴿مِنكُمْ﴾ المجانسة بين الرسل والمرسل إليهم، لا أنهم المنتخبون من قبلهم، فهكذا أيضاً «أولو الأمر منكم» دون فارق.

ولأن «ما» تُخفف عن تردد «إن» الشرطية، ثم الشرطية غير متمحضة في واقع التردد، بل هي تُعَلِّق أمراً على آخر حاصلاً أم سوف يحصل، أم حصل قبل أو لن يحصل، لذلك كله فلا تناحر بين «إن» الشرطية والتأكيد المستفاد من التأكيدية الثقيلة في «يأتين»، ولأن القص هو تتبع الأثر، وهو القصُّ التأريخي بمعنى عرض النخبة اللامعة، إذاً فـ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ يعني تتبع الآثار الربانية فطرية وعقلية وشرعية أماهيه من آفاقية وأنفسية، وقص التاريخ الرسالي لأنه سلسلة موصولة مع الزمن الرسالي.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٠.

ذلك وقد «اصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بدَّل أكثر خلقه عهد الله إليهم، فجهلوا حقه، واتخذوا الأنداد معه، واحتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكِّروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويُروهم الآيات المقدرة، من سقف مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع، ومعايش تُحييهم، وآجال تُفنيهم، وأوصاب تَهرمهم، واحداث تتابعَ عليهم، ولم يخل سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزَل، أو حجة لازمة، أو محجة قائمة، رسل لا تقصِّر بهم قلةُ عددهم، ولا كثرة المكذبين لهم، من سابقٍ سمي له من بعده، أو غابر عرَّفه من قبله -.

على ذلك نسلت القرون، ومضت الدهور، وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء، إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله ﷺ لإنجاز عدته، وتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورةً سماتهُ، كريماً ميلادُه..»[1].

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾:

والخلود - كما مرَّ مراراً ويمر - هو البقاء مدة طائلة، دون غائلة الأبدية اللانهائية التي افتريت على الله بتعليلات عليلة، وهل العقوبة اللانهائية هي جزاءً وفاق للعصيان المحدود لزمن محدود بأثر محدود؟: -

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾:

فممن افترى على الله كذباً وكذب بآياته هؤلاء الذين يؤبّدون المكذبين

(١) (الخطبة ١).

بآيات الله المستكبرين عنها، أبد اللّانهاية، فهم - إذاً - معهم فيما يزعمون، اللّهم إلّا القاصرين منهم التابعين للقائلين به الغائلين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قبل الموت، لمكان ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ...﴾ فما هو ذلك الكتاب؟ إنه بطبيعة الحال كتاب الأعمال لسبق ذكر الأجل، مما يؤيد أن ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ تشمل أمم الموت مؤمنين وكافرين، فكما ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾[١] كذلك ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[٢] وكذلك كتاب الأعمال وما كتب الله عليهم بها من العقاب في كتابه حسب كتاب الأعمال، وقد عبَّر - مراراً - عن مثبتة الأعمال في سجلاتها بالكتاب: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣]، ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٤] فالكتابان - إذاً - هما معنيّان بفارق أن نيل نصيب كتاب الأجل يختص بالدنيا بنفسه، ثم نصيب كتاب العمل يشمل النشآت الثلاث والمعني منها هنا نصيب الدنيا بآثار الأعمال السيئة.

صحيح أن هنا عملاً دون حساب وهناك حساب دون عمل، ولكن «نصيب من الكتاب» هو خليفة حاضرة لا مرد عنها مما لا بدَّ منها، فإن للأعمال آثاراً في الحياة الدنيا كمالَها في الأخرى مهما كان كمالُها في الأخرى.

ثم ومن ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ ما كتبه الله من أعمار وأرزاق للعباد، فكما للصالحين نصيبٌ كذلك للطالحين، إذ ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[٥].

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٨.
(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٩.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٤.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٢٠.

فكما ﴿يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ رزقاً في الحياة الدنيا وأجلاً فيها فإن ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[١] كذلك ﴿يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الذي كتبوه بأعمالهم، فهم عائشون بين الكتابين ولا يظلمون فتيلاً.

ذلك، وأن لهم أنصبة من الكتاب أولاها في الأولى، وأخراها في الأخرى، وأوسطها بينهما حيث ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٢]، ومن الوسطى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ وهم الرسل الملائكية الغلاظ الشداد: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[٣].

والتوفي هو الأخذ وافياً دون تفلُّت لشيء من كيان الإنسان، المفروض حشره للحساب نفساً وبدناً: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾[٤].

ومن مقالهم معهم ﴿قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أنهم آلهة مع الله، دلونا عليهم لنراهم ما هم ومن هم؟ ﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ ضلالاً عن كيان الألوهية، لا عن كونها كسائر الكائنات حيث تحشر حاسرة عما تلبّست من كبرياء الألوهية: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[٥] - ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٨.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٥٠.
(٤) سورة السجدة، الآيتان: ١٠، ١١.
(٥) سورة النحل، الآيتان: ٨٦، ٨٧.

يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾[1].

ذلك، وقد تعني ﴿ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ إلى ما عنت، ضلالاً عند الموت، ثم «إذا رأى» رؤية عند الحشر، وعلى أية حال ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾.

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾:

هنا ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ . . .﴾ دون فصل عن «يتوفونهم» - بقالتهم المؤنبة إياهم - دليل أن ﴿ٱلنَّارِ﴾ هنا هي البرزخية، ثم ﴿إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا﴾ قد تلمح أنها نار الآخرة، حيث الجمع لأهل النار في النار ليس إلّا فيها، وأما النار البرزخية فهم يدخلونها تباعاً حتى قيامة الإماتة الصعقة، فقد لا يكون للأحياء عندها برزخ؟!.

ولكن الجمع في البرزخ كائن في آخر الأمر، فالأموات قبل القيامة الأولى أخذوا مواقعهم فيه، ثم الذين يلونهم في القيامة الأولى يدخلون فيما هم داخلون وهنا ﴿ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا﴾.

وأما الصعقة الشاملة ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[2] في القيامة الأولى، فلا تنافي حياة برزخية بعدها فيها يثابون أو يعذبون.

وقد تعم ﴿ٱدْخُلُوا۟﴾ إلى مدخل البرزخ مدخل القيامة الكبرى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا

(١) سورة الفرقان، الآيتان: ١٧، ١٨.
(٢) سورة النمل، الآية: ٨٧.

﴿ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا. . .﴾ فـ ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾ للبرزخ أمر حاضر دون فصل، وللأخرى أمر حاذر للمستقبل ببرزخ الفصل.

ثم ﴿ٱلۡجِنِّ﴾ الداخلون مع «الإنس» في النار هم شياطين من الجن وفسقة يستحقون النار البرزخية، مما يدل على أن الإنظار إلى يوم الوقت المعلوم لا يشمل كلَّ شياطين الجن، فقد يشمل مع الشيطان الأوّل الشياطين الأول من صناديدهم كما هو قضية ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾[١] فهنا شياطين منظرون مع الشيطان الأول، وهم - بطبيعة الحال - أضرابه من رؤساء الشيطنة، أم يشمل كلّ شياطين الجن لمكان ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا﴾[٢] فدون الصالحين منهم هم قدد الشيطنة، المنظَرون مع هذا الشيطان.

وعلى أية حال فهناك مُنظَرون من الشياطين هم كلهم أم بعضهم دون فسقه الجن، فإنهم كما الإنس غير منظرين.

وترى كيف ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾ وأمم النار أصدقاء مرافقون موافقون في أسباب النار واستحقاقاتها؟.

إن الملاعنة هناك هي قضية ظهور الملكوت، فـ ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[٣] ثم الموادة بينهم كانت قشرية على الأهواء الطائشة، وقد مضت وأدبرت، ثم ظهرت فاسدة كاسدة فقضت بما قضت، فكلٌّ تعاون بين هؤلاء الأخلاء في الفسوق تكون هناك مادة العداء الظاهرة، وقد كانت مستورة أم متغافلاً عنها: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥.
(٢) سورة الجن، الآية: ١١.
(٣) سورة الزخرف، الآية: ٦٧.